إعداد القائد وتربيته في منهج أمير المؤمنين (عليه السلام)

-إضاءات علوية-

عماد الكاظمي

الكتاب: إعداد القائد وتربيته في منهج أمير المؤمنين (عليه السلام)
-إضاءات علوية-

المؤلف: عماد الكاظمي

المطبعة: دار الضياء / النجف الأشرف.

الناشر: جمعية "أبو طالب" (عليه السلام) العراق / الكاظمية.

التاريخ: ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

العدد: ١٠٠٠

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٣٩٠) لسنة ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على المصطفى الأمين، وعلى آله الهداة المهديين ..

إنَّ الدين الإسلامي هو خاتم الديانات السماوية وقد ٱشتمل على النظام الكامل لتربية الإنسان وهدايته، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات متعددة، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [١]، فالتربية القرآنية تربية ذات بُعْدٍ إنساني عظيم، ولقد كانت رسالة الأنبياء والمرسلين والأئمة (عليهم السلام) تهدف إلى ذلك، فجوهر القضية ومحورها هو الإنسان، لذلك نرى أنَّ جميع التشريعات الإسلامية غايتها الحفاظ على حياة الإنسان وكرامته، فكثير من الآيات والروايات تؤكد على هذه المبادىء الإنسانية العظيمة، فغدا الدين الإسلامي دينًا عالميًّا يستطيع أنْ يحقق للإنسان سعادته، وينجيه من الضياع والهلاك، وذلك من خلال التربية الصالحة.

ومن أهم شرائح المجتمع الذين ٱعتنى بهم الأئمة (عليهم السلام) هم أصحابهم وتلامذتهم؛ ليكونوا قدوة في المجتمع الإسلامي، فضلاً عن قيادتهم السياسية إنْ تمكَّنوا من ذلك، أو

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩

كانت الضروف تساعدهم على التصدي للمناصب القيادية، وهذا بطبيعة الأمر يتوجب أنْ تكون لهم تربية وإعدادًا خاصًّا؛ ليكونوا مؤهَّلين لذلك، ولو ٱطلعنا على وصايا أهل البيت (عليهم السلام) لرأينا ذلك جليًّا في مواطن متعددة، ويُعَدُّ عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لتلميذه "مالك الأشتر" من أعظم العهود والوصايا التي تضمنت المواصفات الأساسية والثانوية في بناء القائد وتربيته، وسُبُل بناء الدولة وإدارتها إدارة مدنية، قائمة على العدالة الاجتماعية لجميع أبناء الأمة، بل إنَّ ما في هذا العهد من وصايا تعد من أهم مقومات الدولة المدنية الحديثة، القائمة على العلاقة السليمة والنزيهة بين الحاكم والمحكوم، فهذه الصفحات المتواضعة تسلط الضوء على هذا الجانب فقط من العلاقة وأهميتها في إعداد القائد خاصة [1] ، ولا يتناول شرح العهد كله، فهو يحتاج –حقيقة– إلى مجلد كبير إنْ لم يكن مجلدات؛ لما فيه من المعاني الإنسانية الخاصة والعامة، فنسأله تعالى التوفيق والتسديد لبيان ذلك ..

---

[1] هذه الصفحات هي بحث مقدم إلى الكلية الإسلامية الجامعة في النجف الأشرف للمشاركة في مسابقة الإبداع الفكري لجائزة وارث علم النبيين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ١٣ رجب ١٤٣٥هـ الموافق ٢٠/٥/٢٠١٤م.

تمهيد:

إنَّ من الطروحات الخاطئة، أو التي تشوبها الشبهات والشكوك هو قول بعض المسلمين وغيرهم بأنَّ الدين لا علاقة له بالسياسة، وأنَّ الدين له مجاله الخاص به، وكذلك السياسة لها مجالها الخاص بها، وهما نقيضان لا يلتقيان في الواقع، وغير ذلك من الكلمات التي تجعل الدين في مجال معين ومحدود، وكُلُّ ذلك -بصراحة وتجرد- أوهام وقصور، أو تقصير في الرؤية والغايات التي من أجلها خلق الله تعالى الإنسان، وسخر له ما في الوجود من موجودات، إذ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (1)، بل رفد الإنسان بقوى متعددة يستعين بها لتحقيق غاياته، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (2) وغيرهما من الآيات البينات التي تؤكد أهدافاً عظيمة من خلافة الإنسان في الأرض.

---

(1) سورة لقمان: الآية ٢٠

(2) سورة الحديد: الآية ٢٥

إنَّ تلك المقولات الداعية للفصل بين الدين والسياسة قد شجَّع عليها أعداء الدين الإسلامي، وقاموا بدعم تلك الأفكار لتصبح حقائق في الواقع، حتى غدت أو كادت أنْ تغدوا من المسلَّمات الشرعية أو العقلية، لولا بعض الأمثلة الرائعة في التأريخ الإسلامي والمعاصر اللواتي لو تدبَّرنا بها -حقيقة- لرأينا شدة العلاقة الوثيقة بين الدين والسياسة، وأول تلك الصرخات التي مزَّقت ذلك الثوب البالي وأثبتت بعض الأسس المقومة للسياسة في المنظور الإسلامي قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَٱللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْ لاَ كَرَاهِيَةُ الغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ)) [1]، ويرى الباحث -بتواضع- أنَّ هناك رؤية غير واضحة وضوحًا إلهيًّا لمفهوم الدين في المستويين الفكري والتطبيقي [2]؛ لذا يجب علينا التعمق في فهم مصطلح "الدين" وحدوده وأبعاده وغاياته لدراسة وحلِّ هذه الإشكاليات؛ لئلا يُجَرَّدَ

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين: نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، (مط النهضة، قم، ط١، ١٤١٢هـ): ٢/ ١٨٠

(٢) إنَّ البحث على إيجازه يتضمن بيان مستوى معين يتعلق بالقائد وإعداده، ولم يتطرق إلى تلك المفاهيم والأقوال الواردة في معنى الدين وما يتعلق به، فذلك يحتاج إلى تفصيل يُخْرِج البحث عن جوهره.

من روحه الحية، التي تبعث في تعاليم الشريعة الحياة إلى يوم القيامة، بل يبقى غضًّا طريًّا على مر الدهور.

نحاول في صفحات هذا البحث أنْ نستضيء بكلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان أسس إعداد القائد وتربيته ليكون مؤهَّلاً لإقامة أحكام الشريعة المقدسة، وسوف تكون الاستضاءة بكلماته الخالدة لتلميذه "مالك الأشتر" لما أراد أنْ يوليه مصر؛ إذ تضمن كُلَّ ما يحتاجه القائد في تربيته لنفسه والمجتمع بكُلِّ أبعاده، والتي تؤكد مشروع الخلافة والحاكمية للإنسان في الأرض في ممارسة الحكم والسلطة، والسياسة للرعية والبلاد، وما دعاني لكتابة هذه السطور هو الأهمية البالغة في معرفة مفهوم القائد سواء على المستوى الاجتماعي أم السياسي؛ لما يمر به بلدنا من مرحلة تحوُّل وٱنتقال تأريخي للحكم في العراق، وخصوصًا ما تحتاج إلى معرفته الشخصيات السياسية والدينية، فليست تعاليم الإسلام مجرد كلمات ونصوص تُكتب وتُحفظ وتُردد، بل هي حياة للأمة، إذ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [1]، فالله تعالى قد مَنَّ على المؤمنين –اليوم– بالتمكين ولو بنسبة معينة

---

[1] سورة الحج: الآية ٤١

فيجب عليهم أنْ يُأدوا ما عليهم من حقوق وواجبات؛ لنؤكِّد عظمة التشريع الإسلامي، وصلاحيته للتطبيق والتغيير في الفرد والمجتمع، وإقامة العدل، ونشر البر والإحسان، ورفع الظلم.

وكُلُّ ما تقدم لا يخفى على أحد أهميته في حياة الأمة، ولكنه في الوقت نفسه تحتاج إلى قيادة لها القدرة على التغيير في نفسها، ثم المجتمع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. [1]

والإضاءات العلوية التي نراها من أسس تربية القائد خمس:

١- التمسك بالشريعة المقدسة اعتقادًا وعملاً -النظام والقانون-.

٢- تهذيب النفس وتربيتها -النزاهة-.

٣- التحلي بالعلم والحكمة -الكفاءة-.

٤- الشجاعة والدفاع عن الوطن.

٥- التحلي بالعدل والإنصاف.

فهذه الإضاءات الخمس إنْ توفَّرت في الإنسان كان قائدًا شاء أو لم يشأ، ويتوصل بها إلى تحقيق السعادة للآخرين.

---

[1] سورة الرعد: الآية ١١

وسيقوم البحث على مقدمة وتمهيد وإضاءات خمس فخاتمة، ومسألة مهمة نود بيانها أنَّ البحث لم يقم بالاعتماد على دراسات سابقة في شرح ذلك العهد مطلقًا، وإنما قائم على قراءة ذاتية مستقلة للباحث يرى أنها تصب في حقيقة فهم تلك الإضاءات العظيمة، فلم يتم الرجوع إلى أي دراسة في ذلك، وإنْ لم يكن هذا المنهج مؤلوفًا لدى الباحثين، ولكن حاولت الاستعانة بما أملك من مقوِّمات فكرية متواضعة لقراءة ذلك، ولا أدَّعي كمالاً، بل هي مشاركة متواضعة .. نتمنى أنْ نوفَّق في بحثنا لعرض قراءة موجزة لهذه الإضاءات العلوية؛ لتكون دستور عمل، ومنهج بناء لحياة أمة.

- **الإضاءة الأولى**: التمسك بالشريعة المقدسة اعتقادًا وعملاً –النظام والقانون–

إنَّ أولى الخطوات التي يجب أنْ يُربَّى على أساسها القائد ليكون مُعدًّا كقدوة للآخرين هو التمسك بتعاليم النظام الذي يمثله ويدعو الآخرين إليه، بل محاولة عدم مخالفته مطلقًا؛ ليجعل من القانون نظامًا عمليًا وتربويًّا لأبناء المجتمع، وقد أكد على ذلك المشرِّع للنظام الإسلامي في كثير من موارد نظامه في القرآن الكريم والسنة الشريفة، قال تعالى في حقيقة التربية للنفس والالتزام بالنظام وتوبيخ مخالفيه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[(٢)]، فالآيات المباركة صريحة في الدعوة إلى التمسك بتعاليم النظام لكُلِّ فردٍ ليكون مثالاً لغيره.

والإمام علي (عليه السلام) لما كان ربيب الشريعة المقدسة قرآنًا وسنةً بذل كُلَّ ما بوسعه من أجل ترسيخ هذه المبادىء في نفسه أولاً، وفي تلامذته وأصحابه ثانيًا، من أجل إعداد جيلٍ قد تربَّى في

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٤

(٢) سورة الصف: الآيتان ٢-٣

رحاب النظام الإسلامي لقيادة خير أمة أخرجت للناس، فقال (عليه السلام) في وصيته لمالك والتي هي –كما تقدم– مجموعة من المبادىء السامية لإعداد القائد وتربيته: ((أَمَرَهُ بتقوى اللهِ، وإيثارِ طاعتِهِ، وٱتّباعِ ما أمرَ به في كتابِهِ من فرائضِهِ وسننِهِ التي لا يسعدُ أحدٌ إلا بٱتّباعِها، ولا يشقى إلا مع جحودِها وإضاعَتِها، وأنْ ينصرَ اللهَ سبحانَهُ بقلبِهِ ويدِهِ ولسانِهِ، فإنَّهُ جَلَّ ٱسمه قد تكفَّلَ بنصرِ من نصرَهُ، وإعزازِ من أعزَّهُ)). [1]

إنَّ هذا النص يؤكد على وجوب أنْ تكون التربية والإعداد وفق النظام والقانون، والذي يتمثل بتعاليم الشريعة المقدسة، وفقرات هذا المقطع تبين سبيل العلاقة مع الله تعالى –المُشَرِّع– لاستمداد الشرعية والقوة والتأييد، فهو يظهر أمورًا متعددة منها:

١ – تقوى الله تعالى بعد الإيمان به.

إنَّ التقوى من المنازل الرفيعة والتي لها أثر بالغ في إصلاح النفس وتربيتها وإعدادها للدرجات العالية، وإجمالاً فقد حثت الشريعة المقدسة على الوصول إلى هذه المنزلة العظيمة، فهي سبب للمعية مع الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٣/٨٣

[1]، وهي سبب محبة الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [2]، وهي سبب ٱستجابة الدعاء من الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. [3]

فإذا كان الإنسان مع المشرِّع للنظام قولاً وعملاً، ومن محبيه ومُقَرَّبيه فأيُّ قوة سيمدُّه بها !! وأي سندٍ سيكون له !! لذا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلام): ((مَنِ ٱتقى اللهَ عاشَ قويًّا، وسارَ في بلادِ عدوِّه آمنًا)). [4]

٢- إيثار نظام الله على سواه.

إنَّ طاعة الله تعالى من أعظم الخصال التي يجب أنْ يُربَّى القائد عليها؛ ليكون مصداقًا حقيقيًّا لخلافة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) في تطبيق الشريعة المقدسة، وأنْ يجعل نصب عينيه طاعة الله ورضاه، ويكون في رحاب عزه ورعايته، ويبتعد عن التفكير في

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٣

(٢) سورة التوبة: الآية ٧

(٣) سورة المائدة: الآية ٢٧

(٤) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ): ٣٦٢٧/٨ باب (التقوى) الحديث (٢٢٣٨١).

عبادة غيره من معبودات تريد للإنسان الابتعاد عن رحمة الله وعنايته؛ لذلك نرى أنَّ الإمام (عليه السلام) يؤكد ذلك بلفظ (الإيثار) ومعناه كما ورد فيه: تفضيل المرء غيره على نفسه. [1] فالتأكيد واضح من الإمام على إيثار طاعة الله تعالى على كُلِّ شيء؛ لأنَّ فيها غنًى وعزًّا وكرامةً عن سواه، فإذا كان الإنسان هذا منهجه في الحياة والتعامل مع الآخرين فإنه سيجعل لنفسه شخصية قوية تتحمل هموم الآخرين، وتحقق لهم العدالة الاجتماعية ولو بنسبة معينة.

٣- التمسك بفقرات القانون والنظام.

إنَّ من مقومات الشخصية القيادية هو الإيمان بالقانون والعمل به؛ لأنَّ هذه الشخصية هي التي تدعو الآخرين نحو تنظيم الأمور العامة، وإنَّ أغلب فشل القيادات السياسية والاجتماعية ومنها الإسلامية -بصراحة- هو الابتعاد عن تطبيق القانون والشريعة إذا تعارض مع أهواء النفس ومعطياتها؛ لذلك فإنَّ الشريعة المقدسة تؤكد ذلك في أول خطابتها للمسلمين، فنرى اقتران الإيمان بالعمل في جميع المجالات، وهو بالتالي اقتران الإيمان بالقانون مع التمسك بتطبيقه، قال تعالى في إحدى تشريعاته المقدسة: ﴿إِنَّ

---

[1] مجموعة مؤلفين، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة (الإيثار).

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾ [1] وغيرها من الآيات المباركة، فالإمام (عليه السلام) يشير إلى هذا في نص وصيته، وأنه سبيل السعادة والوصول إلى الغايات العظيمة، بل يحذِّر من تسويف ذلك وٱفتراق التطبيق بين الإيمان والعمل فإنَّ ذلك طريق الضياع والهلاك فيقول: ((ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها)). [2]

---

[1] سورة البينة: الآية ٧

[2] أي إضاعة الفرائض والسنن والتي هي تعاليم النظام الإسلامي وفقرات قانونه، فتارة يكون التضييع بعدم الاعتقاد، وأخرى بمخالفة العمل للاعتقاد، وهذا الذي نراه اليوم من بعض القيادات السياسية التي تؤمن بالنظام الإسلامي نظامًا متكاملاً، ولكنها تخالف بعملها عقيدتها بأسباب مختلفة، قد تكون حقيقة في الواقع، وقد تكون من أجل مصالح أخرى، ولكن النتيجة أنَّ ذلك يعكس في المجتمع صورة بأنَّ الشريعة المقدسة لا يمكن أنْ تطبَّق في الحياة المدنية العامة، لذا يجب علينا أنْ نقوم بتثقيف المجتمع على أمرين مهمين: الأول: بيان الفرق بين الإسلام كنظام إسلامي كامل وبين المسلمين الذين يتصدون لبعض المناصب القيادية السياسية أو الاجتماعية، والآخر: إنَّ الإسلام يؤكد في نظامه على المثُلِ والمبادىء الإنسانية وهي أساس تشريعاته دون المسائل المادية الخاصة، فيدعو –مثلاً– إلى إنفاق الأموال والقرض في سبيل الله تعالى مع ما فيه ظاهرًا من تعطيل المال أو نقصانه في الواقع الخارجي، ولكنه

٤- نصرة القانون والنظام.

إنَّ نصرة القانون تكون دائمًا على قدر الإيمان به من جانب، وقدر تحقيقها للسعادة من جانب آخر، وبما أننا نتحدث عن التجربة الإسلامية للحكم فيجب أنْ يكون هذان الجانبان من أولويات التسليم لهما من الإنسان المسلم بصورة عامة، ومن الذين نقوم بتربيتهم لقيادة الأمة بصورة خاصة، وأنَّ هذا الإيمان يجب أنْ يُضَحَّى من أجله كُلُّ شيء؛ لترسيخ أسسه في المجتمع، والأمثلة في التأريخ الإسلامية والمعاصر كثيرة، ٱبتداء من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في مدة حكمه وقبلها، مرورًا بالحوادث الكثيرة ومنها في الوقت المعاصر ما قدمه علماء الأمة من تضحيات من أجل الحفاظ على قوانين الشريعة المقدسة، ونصرتها بتضحياتهم، ومنهم على سبيل المثال السيد الشهيد "محمد باقر الصدر" (قده) وغيره، فتربية الإنسان على ذلك من أهم الواجبات بعد تعرُّفه على النظام وتطبيقه، فليست النصرة تكمن في أداء التعليمات المقدسة التي لا تعارض هوى النفس وتضحياتها، بل يجب أنْ يكون الإنسان عامة

يحارب القرض الربوي مع ما فيه من زيادة الأموال والأرباح وإنْ كان فيه نقص للمروءة والإنسانية، وهذه مسألة مهمة جدًّا، وتُعَدُّ شاقة اليوم، ولكنها بالنتيجة ليست مستحيلة.

والقائد خاصة مستعدًّا دائمًا لذلك، ويتسابق مع الآخرين في تثبيت دعائم النظام الذي يعتقد به، لذلك قال تعالى مخاطبًا أولئك القادة بقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [(١)]، فالآيات واضحة الدلالة في أنَّ تمكين المؤمنين لا يكون إلا بعد إيمانهم ونصر الله تعالى لهم، والآية المباركة جاءت في سياق ذلك إذ قال

---

(١) سورة الحج: الآية ٤١ ، فالله تعالى في نظامه العظيم يريد أنْ يبين وظيفة الإنسان عند تمكنه وتسلطه للقيادة، من حيث تطبيق فقرات الشريعة المقدسة لتحقيق العدالة الاجتماعية، فالصلاة مثالاً للعبادة ونشر تعاليم الله تعالى، وتحقيق إقامة الفرائض بشكل واسع، والزكاة مثالاً للقضاء على الفقر والفاقة والحاجة وتحقيق العدالة بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثالاً لإقامة الحدود وردع المجرمين والمعتدين، فليس التمكين في الأرض هو فتح أبواب المساجد والمراقد المقدسة وإقامة الشعائر جسدًا بلا روح، أو رفع شعارات إسلامية من غير تطبيق، أو القعود في البروج المشيدة وأبناء الأمة بأمس الحاجة إلى المأكل والمسكن وغيرهما، ولا يكون الاتصال بهم إلا عن طريق شاشات التلفاز أو صوت المذياع، فكُلُّ ذلك مخالف لحقيقة التمكين، ولحقيقة منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي أعطى أنموذجًا عظيمًا للحكم والحاكم، وعلى كُلِّ مَنْ يفكر في أنْ يكون قائدًا بأنْ يقرأ فقرات هذا العهد اليتيم ليعرف قدر نفسه ومسؤوليته.

عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. [1]

وقد أكد الإمام على نوع النصرة وصورها، فجعل جميع الحواس متفاعلة مع العقيدة والإيمان بالنظام والقانون، وأنَّ نصر الله تعالى يكون على قدر الاستعداد لنصره، والقيام بذلك، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]،

---

(1) سورة الحج: الآيات ٣٨-٤٠ ، فلو تأمَّلنا في هذه الآيات المباركة لرأينا أنها حقيقة تتجلى في واقع المؤمنين في العراق، فالمرحلة الاستبدادية والقهرية التي مرَّت علينا لا يمكن للسان أو مقال أنْ يبين حقيقتها، ولكن الله تعالى كان مدافعًا عن الذين آمنوا، حتى مَنَّ علينا بصبح أسفر عن ليالي الظلم والظلمات، وخصوصًا لمن هم اليوم في المواقع القيادية السياسية والاجتماعية.

(2) سورة محمد: الآية ٧

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. [1]

إنَّ ما تقدم نبذة موجزة عن هذه الإضاءة الأولى لتربية القائد وإعداده في منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) حاولنا قراءتها من خلال فقرة من فقرات عهده اليتيم.

---

[1] سورة المجادلة: الآيتان ٢٠-٢١

- الإضاءة الثانية: تهذيب النفس وتربيتها –النزاهة–.

إنَّ من الواجبات التي يجب أنْ يتحلى بها مَنْ يُعَدُّ للقيادة أنْ يكون قد تغلب على شهوات نفسه، فلا يكون منقادًا لها، ملبيًّا لرغباتها، ومن أهم ذلك نشوة الحكم والسلطان والابتعاد عن الهدف الأساس، وهذا لا يكون إلا بٱختيار الإنسان النزيه لهذه المراتب، ويأتي بعد طول جهاد للنفس وترويضها على الطاعات، وهو من الجهاد الأكبر كما ورد في الروايات المباركة[1]؛ لذلك نرى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أشار إلى ذلك وأكد عليه في عهده، إذ يقول: ((وأَمَرَهُ أنْ يكسرَ نفسَهُ من الشهواتِ، ويزَعَها عند الجَمُحاتِ، فإنَّ النفسَ أمارةٌ بالسوءِ إلا ما رحمَ اللهُ، ثم ٱعلم يا مالكُ أنِّي قد وجَّهْتُكَ إلى بلادٍ قد جَرَتْ عليها دولٌ قبلكَ من عدلٍ وجورٍ، وأنَّ الناسَ ينظرونَ من أمورِكَ في مثلِ ما كُنْتَ تنظرُ فيه من أمورِ الولاةِ قَبْلَكَ، ويقولونَ فيكَ ما كُنْتَ تقولُ فيهم، وإنَّما يُسْتَدَلُّ على الصالحينَ بما يُجري اللهُ لهم على أَلْسُنِ عبادِهِ، فليكُنْ أحَبَّ الذخائرِ إليكَ ذخيرةَ العملِ

---

(1) ينظر: الريشهري: ميزان الحكمة ١/٤٥٣ باب (الجهاد الأكبر)، الحديث (٢٧٤١).

الصالحِ، فٱمْلِكْ هواكَ، وشُحْ بنفسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لكَ، فإنَّ الشُّحَّ بالنفسِ الإنصافُ منها فيما أَحَبَّتْ أو كَرِهَتْ)).

إنَّ هذا النص من العهد يؤكد على وجوب أنْ تكون النفس مهذبة عن اللذات والشهوات، مستقيمة في التفكير والعطاء، والتعامل مع الآخرين، وتكمن أهمية هذه الخصلة بأنها من أولى فقرات العهد ومقدمته للحكم وقيادة المجتمع، فنرى تأكيده على مسائل متعددة منها:

١- إنه (عليه السلام) يأمره بتهذيب نفسه فوق ما هي عليه من تربيتها الخاصة التي كان على بسببها ٱستعماله على ولاية الناس؛ لأنَّ الوالي -أي القائد- يجب أن يكون أول الناس وأولاهم بذلك.

٢- المبالغة في مراقبة النفس وتهذيبها، لذا عبَّر بقوله: ((وأَمَرَهُ أنْ يكسرَ نفسَهُ من الشهواتِ، ويزَعَها عند الجَمُحاتِ))[1]**،**

---

(١) قال الشيخ محمد عبده في شرحه لنهج البلاغة: يزعها أي: يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح والشرع الصريح. ٣/٨٣ ، قال ٱبن منظور: ((الوَزْعُ: كَفُّ النفْسِ عن هَواها، وزَعَهُ، وبه يَزَعُ، ويزِعُ وزْعاً كفَّهُ، فاتَّزَعَ هو أي كَفَّ، وتقلب الواو ياء طلباً للخفة)). ينظر: لسان العرب مادة (وزع)، وقال: ((جَمَحَ أي

فكسرها مقابل اللين، وبذلك يجب أنْ يكون الإنسان صارمًا مع نفسه عندما تدعوه إلى لذاتها، ويكون قادرًا على كبح جماحها وقهرها، والنصر في جهادها. [1]

٣- مراقبة القائد لنفسه دائمًا لئلا تصبو لأعمال السلاطين من جور وظلم للرعية، فإنَّ صاحب السلطان كراكب الأسد، وبذلك يكون في ركب الظلمة والطغاة من حيث يعلم تارة، ولا يعلم تارة أخرى[2]**، وهذا لا يكون إلا بمراقبة شديدة متواصلة لكُلِّ قولٍ وفعلٍ؛ ليمكن بذلك تحقيق العدالة والخير للمجتمع.**

٤- الإسراع إلى فعل الخيرات لأبناء المجتمع، دون إغرائهم بالوعود والأقاويل المزخرفة، فإنَّ ذلك ليس من صفات القائد

أَسْرَعَ، والجَمُوحُ مِنَ الرِّجالِ الَّذي يَرْكَبُ هواهُ فلا يُمْكِنُ رَدُّهُ)). لسان العرب مادة (جمح).

فإنَّ قوله: ((ويزعها عند الجمحات)) تعبير دقيق جدًّا في المبالغة بمحاربتها وجهادها وتهذيبها، وألا يدع لها أي منفذ للتسلط.

(1) وقد ورد في روايات كثيرة في الحث على جهاد النفس بل عُدَّ ذلك من الجهاد الأكبر، فضلاً عن عظمة آثار هذا الجهاد. للتفصيل ينظر: الريشهري: ميزان الحكمة ١/٤٥٢-٤٥٥ باب (الجهاد الأكبر).

(2) للتفصيل في الروايات الواردة في ذلك ينظر: المصدر نفسه ٣/١٣٣٤ باب (السلطان) الحديث (٨٧٣٢) وغيره.

المؤمَّل لبناء مجتمع إنساني متكامل، بل العمل هو الفيصل والأساس في ذلك، فبه يخلد القادة والمصلحون، وفي التأريخ شواهد عظيمة، لذلك نرى أنَّ أمير المؤمنين يؤكِّد على ذلك في كثير من وصاياه، فضلاً عن سيرته المباركة، وهذا ما نراه في وصيته الإنسانية الخالدة بقوله: ((فليكُنْ أحَبَّ الذخائرِ إليكَ ذخيرةَ العملِ الصالحِ)). [1]

٥- إيثار المصلحة العامة على المصلحة الشخصية وعدم تقديم مطالب النفس على مطالب الأمة كما هو ديدن الحكام عامة، بل على القائد أنْ يجعل نفسه وقفًا لشعبه، ابتداء من أقل الاحتياجات إلى أعظمها.

---

[1] إنَّ الدولة في فكر علي بن أبي طالب (عليه السلام) قائمة على أساس الصدق بين الحاكم والمحكوم، فصدق الحاكم عند مطابقة الفعل للقول، والوفاء بالعهود، وتلبية حاجة الرعية في جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها، وأما صدق الرعية فهو الطاعة، وطاعة الرعية للحاكم يكون على أساس صدق الحاكم معها، فهذه الكلمات تبين عظمة المشرع الإسلامي في تأسيسه للحكم وبناء الدولة، وتربيته وإعداده للقادة، فكُلُّ مَنْ يريد التمسك بفكر أمير المؤمنين منهجًا لحُكمه ودولته وقيادته فعليه أنْ يجعل نفسه في ميزان هذه الإضاءات؛ فإنها أساس نجاحه وخلوده.

وكُلُّ ذلك لا يكون بسهولة، بل بصعوبة بالغة وشاقة، تكمن تارة في الحاكم، وتارة في حاشيته ومعاونيه، وفي ذلك يكون أثر التربية والإعداد، لذا فإنَّ ألفاظ العهد في منتهى الاختيار والدقة إذ يقول: ((فٱمْلِكْ هواكَ، وشُحْ بنفسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لكَ، فإنَّ الشُّحَّ بالنفسِ الإنصافُ منها فيما أَحَبَّتْ أو كَرِهَتْ))، فإذا تمكَّن الهوى من النفس قضى على المبادىء والقيم الإنسانية، وتعبيره بالشح ما أعظمه، فالشُّحُّ حِرْصُ النفس على ما ملكت وبخلها به [١]، والشح في هذا المورد محمود ومطلوب وخصوصًا ممن يُنَصَّبُ راعيًا للرعية.[٢]

إنَّ ما تقدم نبذة عن هذه الإضاءة الثانية لتربية القائد وإعداده لمهمة الحكم بين الناس لتحقيق السعادة لها من خلال تربيته أولاً، ثم تربية الأمة على ذلك، وقد أوصى الإمام بذلك في موارد متعددة؛ لئلا يغترَّ القائد بنفسه لحظة، فقال (عليه السلام):

(١) لسان العرب مادة (شحح).

(٢) إنَّ هذه الفقرة تستدعي الباحث التأمل فيها بألم لما أصاب الأمة حاكمًا ومحكومًا من انهيار لهذه التعليمات بصورة عامة في المجتمع، إلا في موارد محدودة جدًّا –للأسف–، مما يستدعي تذكير الأمة كلها بتراثه الإنساني العظيم.

((وٱلصقْ بأهلِ الورعِ والصدقِ، ثم رَضْيهُمْ على أنْ لا يُطْروكَ، ولا يُبَجِّحوكَ بباطِلٍ لم تفعَلْهُ، فإنَّ كثرةَ الإطْراءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وتُدْنِي من العِزَّةِ)). [1]

---

[1] إنَّ في ذلك وصية بالغة في مراقبة الحاكم لنفسه وعدم الغفلة مطلقاً، وذلك من خلال مجالسة أهل الوعظ والتذكير من أهل الدين والورع، ولعل في ذلك أيضًا ما يُعْرف اليوم من الإعلام المعبَّأ لخدمة السلطان والسلطة، فإنَّ الإعلام له أثرٌ في تمكين الصفات الرذيلة للحاكم، والأخذ به نحو فساد النفس والمجتمع، من خلال تزيين الباطل بأنه حق، ووصف الحاكم بما هو ليس كذلك من صفات العزة والكرامة والمدح والثناء، فيمدحوه على خيرٍ وصلاح لم يفعله، حتى تقوى شهوته فيصل به إلى الاستكبار والطغيان، وقد رأينا ذلك في حكام عصرنا الحديث.

قال الشيخ محمد عبده: ((رضهم: أي عَوِّدْهُمْ على أنْ لا يطروكَ أي يزيدوا في مدحك، ولا يبجحوك: أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته. والزهو بالفتح: العجب)). ٣/٨٨

- **الإضاءة الثالثة**: التحلي بالعلم والحكمة –الكفاءة–.

إنَّ من أهم مقومات الشخصية القيادية العلم والحكمة، فعلى أساسهما يتم التأسيس للمنهج الذي يقوم عليه الحكم، والتخطيط لذلك، فضلاً عن معرفة الأولويات في الحكم، والسبيل الأمثل، وهذا يتطلب جهدًا كبيرًا في التربية والإعداد، وقد بينت ذلك فقرات العهد، إذ يقول (عليه السلام): ((وأَكْثِرْ مُدارسَةَ العُلماءِ، ومنافثةَ [1] الحُكماءِ في تثبيتِ ما صلحَ عليه أمرُ بلادِكَ، وإقامَة ما ٱستقامَ به الناسُ قبلكَ، وٱعلمْ أنَّ الرعيةَ طبقاتٌ لا يصلحُ بعضُها إلا ببعضٍ، ولا غنًى ببعضِها عن بعضٍ)).

إنَّ هذا النص يؤكد بوضوح على وجوب أنْ يكون القائد على حظٍّ كبير من العلم والحكمة، وهذا ما أمرت به الشريعة المقدسة من أهمية ٱتباع أهل العلم، ومجالستهم؛ لذلك نرى أنَّ الإمام (عليه السلام) يطلب المتابعة في مجالستهم والتعلم منهم،

---

[1] المنافثة أي المحادثة. لذلك يقال في صفات المخالطة للآخرين: وإنه لحسن الصحبة، جميل العشرة، لذيذ المفاكهة، رقيق المنافثة، ريحانة الجليس. اليازجي، إبراهيم: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ص٣١٨

فعبَّر بقوله: (وأكثر)، وهذا يدلُّ على أنَّ العلم أمر أساس في إعداد وتربية القائد، ومن هذا النص نستوحي مسائل منها:

١- أهمية مصاحبة العلماء، ودراسة العلم وخصوصاً ما يحتاجه في أمور الرعية من علوم شرعية وسياسية وٱجتماعية؛ لأنها أدواته التي يصلح بها البلاد والعباد، وهذا لا يكون من غير تعاهد العلم، لذا نرى أنَّ من أهم السبل التي تكون أساسًا للنجاح في الحكم أنْ يكون القادة من أصحاب العلم والشهادات العلمية؛ ليؤدي كُلٌّ دوره المطلوب منه، وهو ما يُعرف بالاعتماد على الكفاءات وخبرات المختصين.

٢- إنَّ مدارسة الحاكم للعلماء سوف يجعله دائمًا في مراقبة لنفسه في تصحيح شؤون بلاده، فضلاً عن تصحيح سلوكه وأفعاله كما تم بيانه في الإضاءة السابقة. [١]

---

[١] وفي هذا المجال يجب على الحاكم أنْ يجلس ويتعلم من العلماء الصادقين الذين يخلصون له في العلم والنصيحة، والذين لا يخافون أحدًا إلا الله، فيقدِّمون له كُلَّ نصيحةٍ ومشورةٍ يحتاجه في حكمه، لا أنْ يجالس علماء السلطة أو ما يُعرف بـ(وعاظ السلاطين) الذين يزينون له الباطل والظلم من أجل الحفاظ على منزلتهم ومصالحهم من غضب السلطان عليهم، وفي التاريخ شواهد كثيرة لأولئك الذين كان لهم أثر بالغ في ٱنحطاط الحاكم والحكم وظلم الرعية.

٣- أهمية الإفادة من الحكماء الذين لهم من الخبرة الكبيرة في الأمور العامة التي تنفع في سياسة البلاد وٱستقامتها، وذلك من خلال الأخذ بمشورتهم وخبرتهم، وفي ذلك من دروس مهمة للحكم، دون تفرد الحاكم بآرائه الخاصة، والتي قد تتحكم فيها الأهواء، أو الرؤية القاصرة في أمر معين. (١)

٤- أهمية معاهدة الحاكم لأمور رعيته وإصلاح أحوالهم، لما فيه خيرهم وسعادتهم من خلال الإفادة من تجارب الحكام السابقين في الخير، والبحث عن النظام الأمثل الذي يخدم الناس فيه من خلاله رعيته، وإنْ كان ذلك النظام قد عمل به الحاكم سابقًا. (٢)

---

(١) وهذا ما يُعرف اليوم باتخاذ المستشاريين للحاكم والوزراء وغيرهم ممن لهم مكانة في رعاية شؤون البلاد، ولكن يجب أنْ يكونوا حقيقة من الحكماء في مجال ٱستشارتهم، وليس مجرد تكثير سواد كما يُقال، فيكون الضياع والانحراف أكثر من الاستقامة والبناء.

(٢) وأظن أنَّ قوله (عليه السلام): ((وإقامة ما ٱستقام به الناس قبلك)) هي دعوة للحاكم والقائد في أنْ ينظر في القوانين والأنظمة التي كان يُعمل بها سابقًا دون إلغائها، وفرز ما فيه صلاح الأمة من عدمه، فيقوم على تقوية الأول والإفادة منه لأنَّ الناس قد عملت به وأَلِفَته، وإلغاء ما فيه أذى الأمة، وهذه بصراحة من أهم الوصايا العظيمة في رسم سياسة الحكم للدولة عند تبديل قياداتها، أو هلاك دول وإتيان أخرى، فإلغاء

فالعلم والحكمة أمران مهمان لكُلِّ إنسانٍ بصورة عامة، وتتأكد هذه الأهمية في حال تربية جيلٍ واعٍ لمسؤوليته، والأمر أعظم عند تربية القائد وإعداده، وهذه الإضاءة فيها من الدروس والعبر النافعة الكبيرة التي يجب على كُلِّ قائد، أو مَنْ هو مؤهلٌ لذلك أنْ يتأمل في هذا، ويربِّي نفسه عليه.

كُلِّ القوانين فيه ضرر بالغ، ولكن يجب على القائد أنْ يمتلك حنكة وشجاعة، فضلاً عن استشارته للعلماء والحكماء لمعرفة النظام الأصلح لقيادة الأمة، ولعلنا شهدنا وقائع كثيرة لأمم سقطت فيها حكومات وأتت أخرى.

- **الإضاءة الرابعة**: الشجاعة والدفاع عن الوطن.

إنَّ الشجاعة من الصفات التي يجب أنْ تكون ملازمة للمؤمن، وخصوصًا لمَنْ يُعَدُّ للقيادة، فلا يمكن مطلقًا أنْ يكون القائد على غير ذلك وإنْ توفرت فيه الإضاءات المتقدمة، فالشجاعة في الرأي وٱتخاذ القرارات الحازمة لها علاقة وثيقة في شؤون الرعية، فضلاً عن الاستعداد التام لمقاتلة المعتدين، وهذه الخصلة من قوام القائد؛ لذلك نرى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يبيِّن ما يتعلق بأمور الجيش وتدريبهم وٱختيار المسؤولين عنهم بدقة متناهية؛ لأنَّ الجيش إذا كان قائده شجاعًا بعث في نفوسهم روح الشجاعة والنصر والتأييد، فيقول في وصيته: ((فالجنودُ بإذنِ اللهِ [1] حصونُ الرعيةِ، وزينُ الولاةِ، وعِزُّ الدينِ، وسُبُلُ الأمنِ، وليس

---

[1] إنَّ قوله (عليه السلام): (فالجنود بإذن الله) يشير إلى الصفات الإيمانية للجيش، فالجيش الذي يتسلح بسلاح العقيدة والعبودية لله تعالى، فإنَّ الله ينصره ولا يخذله في موطن من المواطن، وفي ذلك دعوة إلى قادة الأمم أنْ يسلِّحوا الجيش بسلاح الإيمان والعقيدة قبل السلاح المادي، فإنَّ الذي يتسلَّح بسلاح العقيدة هو أقوى بكثير ممن يتسلح بالسلاح المادي وإنْ كان فتاكًا؛ لأنه مع كُلِّ ذلك السلاح فهو يخاف الموت ويهرب منه في كُلِّ آنٍ، وأما الذي يتسلح بالعقيدة فلا يفر من المعركة أبدًا، فيغدو سلاحه البسيط من أعظم الأسلحة، والتاريخ القديم

تقومُ الرعيةُ إلا بهم، ثُمَّ لا قوامَ للجنودِ إلا بما يُخْرِجُ اللهُ لهم من الخراجِ الذي يقوونَ به في جهادِ عَدُوِّهِم، ويعتمدونَ عليهِ فيما يُصْلِحُهُمْ، ويكونُ من وراءِ حاجَتِهِمْ)).

إنَّ في هذا النص الجليل أمورًا مهمة متعددة تبين أهمية الشجاعة للقائد بٱختيار جنوده، وأهمية الجنود للأمة، فيجب على كُلِّ أمة أنْ تهيِّأ جندًا للدفاع عن نفسها ومقدساتها، لا أنْ تكون نهبة للأعداء الذين يريدون بهم ذُلاً وهوانًا، فيبين الإمام أهمية الاهتمام بكُلِّ جنديٍّ ٱهتمامًا عظيمًا لما له من آثارٍ كبيرةٍ في الحفاظ على صيانة المجتمع، فيذكر من صفاتهم أنهم:

١- حصون الرعية. فالجنود المؤمنون مع قيادتهم المؤمنة هم حقيقة حصن للأمة من الأعداء، فليس الحصن هو الجدار والسلاح

والمعاصر فيه أمثلة كثيرة، ولقد خاطب الله تعالى أصحاب بدر مع ما كانوا عليه من ضعف سلاحهم المادي بقوله: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران: الآيات ١٢٣-١٢٦]، فهذا درس إلهي عظيم يجب على الأمم أنْ تؤمن به، وتذعن له.

والأموال، وإنما العقيدة في الدين، والقوة في البدن، بعد التوكل على الله تعالى. [1]

٢- زين للولاة. والجنود بعد أنْ كانوا حصنًا للأمة من الأعداء فهم زينٌ يفتخر بهم القائد بين رعيته، وأمام الأمم.

٣- عز الدين. وهذا كما بيَّنَّا لا يكون إلا بعد التربية والإعداد للقائد الذي يعد جنوده لهذه المهمة العظيمة، وهي إعزاز الدين، والحفاظ على مبادئه السامية، وعدم السماح للأعداء بأنْ يدنِّسوا أرضهم فيشيعوا فيها الفساد. [2]

٤- سبل الأمن. فالجنود المؤمنون هم الذين يحافظون على أعراض الرعية وممتلكاتهم من النهب والسلب، ومن الذين يريدون

---

(١) إننا نرى اليوم بوضوح تجلي هذه الخصلة في جنود "حزب الله" في جنوب لبنان، وما قدموه من أروع البطولات في تحصين دولتهم وأمتهم من تدنيس أرضهم من إسرائيل، وما قدموه من الانتصارات الباهرة ضد الأعداء.

(٢) وهذا ما نراه اليوم بصراحة في جيش الجمهورية الإسلامية في إيران وٱستعداده للحفاظ على بركات الثورة الإسلامية، ليكون الدين عزيزًا بعد أنْ كان ما عليه من الضعف أيام الاستكبار العالمي وأتباعه من الحكام العملاء، فغدا جيش الجمهورية يُحسب له حسابًا كبيرًا من القوى المستكبرة العاتية في العا لم.

نشر الفساد والرذيلة، وأما الجنود غير المؤمنين فهم الذين ينشرون الذعر والخوف والسرقة والاعتداء في الأمة.

٥- إنَّ في النص إشارة عظيمة إلى وجوب الوحدة والتلاحم بين أبناء الشعب والجيش، فإنْ تعاضدا فلا يمكن لأحدٍ أنْ يتغلَّب عليهما بسهولة، وإن تفرَّقا فيمكن التفريق بينهما فيخسر كُلٌّ منهما الآخر، وعلى المجتمع أنْ يعرف أهمية الجيش له، ومسؤوليته في تحقيق الأهداف العظيمة لكُلِّ مواطنٍ، ومن أهمها الأمن، فيجب أنْ ينظر الناس إلى جيشهم نظرة إعجاب وفخر، وحب وآمتنان. [١]

٦- يجب على القائد أنْ يعتني بجيشه من خلال توفير مستلزمات العيش الكريم لهم ولذويهم، وفي ذلك دعوة لتحسين عطائهم وما

---

(١) إنَّ هذه الفقرة أرى أنها من أهم الفقرات التي تنطبق اليوم على واقعنا المعاصر في العراق، ووجوب التلاحم بين الجيش وأبناء الأمة؛ لكي يعلم الجندي أنَّه يؤدي رسالة عظيمة في الدفاع عن أرواح المؤمنين، وليعلم المواطن كذلك بأنَّ له قوة تدافع عنه وتحميه من الأعداء، لذلك نرى كيف تكون الانتصارات من قبل الجيش على أعدائنا من المنظمات الإرهابية عندما يكون الشعب ملتحمًا ومؤيِّدًا له، عكس ما كان عليه العراقيون في تلك السنوات العجاف التي كان فيها الجيش أداة بأيدي الطغاة فيضرب به الشعب، حتى غدا الشعب عدوًّا لجيشه، والجيش قاتلاً لشعبه.

يتعلق برواتبهم، فإنْ كان العطاء كافيًا وكبيرًا كان هناك تفرُّغًا من الجند للدفاع والقتال والتضحية؛ لذا يقول (عليه السلام): ((ثُمَّ لا قِوامَ للجنودِ إلا بما يُخْرِجُ اللهُ لهم من الخراجِ الذي يقوونَ به في جهادِ عَدُوِّهِم، ويعتمدونَ عليهِ فيما يُصْلِحُهُمْ، ويكونُ من وراءِ حاجَتِهِمْ)).

إنَّ كُلَّ ما تقدَّم يرسم الملامح الأولى المهمة لبناء الجيش في الدولة الإسلامية التي تبغي إقامة الحكم الإلهي، والنصر للمؤمنين، وهذه من أعظم الدروس التي تؤكد على أهمية بناء جيش عقائدي قوي، يحمل السلاح المعنوي والمادي في آنٍ واحدٍ؛ ليكون مؤهلاً دائمًا للدفاع عن مقدساته، وعن الشعب وممتلكاته، وكُلُّ ذلك لا يكون حقيقة بلا قائد شجاع قد تسلح بهذا السلاح، ولقد توفرت كُلُّ ذلك في القائد الفريد الذي أنجبته الأمة الإسلامية "مالك الأشتر"، لذلك نرى أنَّ الوصية لم تتعرض إلى ذكر القائد بقدر تعرضها لذكر الجنود؛ لأنَّ الأول موجود، ويجب أنْ نربي الآخر.

- الإضاءة الخامسة: التحلي بالعدل والإنصاف.

إنَّ العدل والإنصاف في الأمة من أعظم أهداف النظام الإسلامي، بل هو من أهم حكمة بعث الأنبياء، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [(٢)]، بل هو من مقومات دوام الملك والحكم، كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ((العدلُ فضيلةُ السلطانِ)) [(٣)]، وقوله: ((بالعدلِ تصلحُ الرعيةِ)) [(٤)]، ذلك أنَّ القائد يجب أنْ يُرَبَّى على العدالة والإنصاف والابتعاد عن الظلم وعدم التفكير به؛ ليكون قدوة في تطبيق المجتمع لهذه المبادىء العظيمة، وهذا ما أراد بيانه أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ حث على ذلك في موارد متعددة من وصيته، فقال في إحدى روائعه الإنسانية: ((وأشْعِرْ قلبَكَ

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨

(٢) سورة يونس: الآية ٤٧

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة ٤/١٨٣٩ باب (العدل)، الحديث (١١٩٦٥).

(٤) المصدر نفسه، الحديث (١١٩٧٠).

الرحمةَ للرعيةِ، والمحبةَ لهم، واللطفَ بهم، ولا تكونَنَّ عليهِمْ سَبُعًا ضاريًا تغتنِمُ أُكُلَهُمْ)) [1]، فهذه الصفات يريد علي بن أبي طالب أنْ يكون الحاكم تجاه رعيته، بأنْ تتوفر فيه:

١- الرحمة والعطف على أبناء الأمة، وأنْ يقدِّم لهم كُلَّ ما يحتاجون إليه في حياتهم مما يكون سببًا لسعادتهم وسرورهم، وهذا لا يكون لو لم يكن الحاكم رؤوفًا برعيته، كما يكون الأب رحيمًا بأولاده.

٢- الحب الذي يحمله القائد لأبناء أمته، فعلى أساس ذلك الحب سيكون العطف والعطاء والاعتناء.

٣- اللطف بأمورهم وما يحتاجون إليه، وما يعانون منه من أسباب الفقر والهوان، فبالرحمة والرحب واللطف يمكن للحاكم أنْ يطبِّق النظام الإسلامي بين أبناء الأمة، فلا يجعل أحدًا يحتاج إلى ملبسٍ، ومأكلٍ، وعلاجٍ وغير ذلك من موارد البلاء، بل يحاول أنْ يسدَّ كُلَّ فاقة في الناس، ويسارِع في تلبية حوائجهم، من تعليم، وتأهيل، وبناء، وعطاء.

---

[1] الشريف الرضي: نهج البلاغة ٣/٨٤

٤- المبالغة في الحلم والصبر وعدم الاعتداء على الرعية، لا أنْ يكون مثل السباع الضارية التي تنهش لحوم الآخرين، فيستعبد الحاكم شعبه، ويذيقهم ألوان الظلم والقهر والجور والعذاب.

وفي رائعة ثانية يقول (عليه السلام): ((فأعطِهِمْ من عفوِكَ وصفحِكَ مثلَ الذي تحبُّ أنْ يعطيَكَ اللهُ من عفوهِ وصفحِهِ، فإنَّك فوقَهُم، ووالي الأمرِ عليكَ فوقَكَ، واللهُ فوقَ مَنْ وَلاك، وقد ٱسْتَكفاكَ أمرَهُمْ، وٱبتلاكَ بهم، ولا تنصبنَّ نفسَكَ لحربِ اللهِ، فإنه لا يَدَي لك بنقمتِهِ، ولا غِنًى بِكَ عن عفوهِ ورحمتِهِ))[1]، وفي هذا النص أيضًا من الوصايا العظيمة التي يجب على القائد أنْ يربي نفسه عليها؛ ليكون أهلاً لقيادة الرعية، فيوجب عليه أنْ يتصف بصفتين مهمتين:

١- ترويض النفس على العفو، والصفح عن تجاوزات الرعية التي يمكن أنْ يتجاوز عنها، وٱستذكار عفو الله تعالى في ذلك اليوم العظيم، وفي ذلك محاسبة للنفس ومراقبة لها عن الركوب في العناد والطغيان.

---

(١) المصدر السابق.

٢- ترويض النفس على التواضع والاستكانة بين يدي الله تعالى، وعدم الغرور بالقوة الآنية التي يمتلك سلطانها، فيكون جبارًا على الله تعالى، وعلى عباده، فإنَّ ذلك أعظم الغرور، وهو أول طريق الشيطان بالنسبة للحكام، إذ يزيِّن لهم قوتهم وجبروتهم، حتى يصل الأمر إلى الطغيان والتعدي على الحرمات.

فهذان الأمران يحذر الإمام منهما أيَّ إنسان بصورة عامة، والقائد بصورة خاصة، لأنَّ الأول سيؤدي إلى ظلم نفسه فيتجاوز على الآخرين، والثاني سيؤدي إلى إهلاك أمة، كما قال تعالى في وصف الطغاة المفسدين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. [1]

وفي رائعة ثالثة من روائعه الإنسانية يقول: ((أَنْصِفِ اللهَ، وأَنْصِفِ الناسَ من نفسِكَ، ومن خاصةِ أهلِكَ، ومَنْ لَكَ فيه هَوًى من رعيتِكَ، فإنَّكَ إلا تفعلْ تظلِمْ، ومَنْ ظلمَ عبادَ اللهِ كانَ

[1] سورة البقرة: الآيات ٢٠٤-٢٠٦

اللهُ خصمَهُ دونَ عبادِهِ، ومَنْ خاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وكانَ للهِ حربًا حتى ينزِعَ ويتوبَ، وليسَ شيءٌ أدعى إلى تغييرِ نعمةِ اللهِ وتعجيلِ نقمتِهِ من إقامَةٍ على ظلمٍ، فإنَّ اللهَ سميعُ دعوةِ المضطهدينَ، وهو للظالمينَ بالمرصادِ)). [1]

فهذه دعوة للحكام للتأمل والتفكير في حقيقة ملكهم وسلطانهم، وفي حقيقة هذه النعمة التي هم عليها، وهذه القوة التي يملكونها اليوم كيف يسخرونها في خدمة الرعية، وكذلك نرى أنَّ التربية والإعداد للقائد تستوجب ما يأتي:

١- أنْ يكون منصفًا مع جميع رعيته سواء في ذلك القريب والبعيد، وأخذ الحق من القريب وإنْ كان من الحاشية، وفي ذلك

---

(١) إنَّ هذه الكلمات -والله- لتفخر بها الإنسانية كُلُّها أينما كانت، وبأي عقيدة دانت، وتصرخ من أعماق قلبها بأنَّ علي بن أبي طالب ملكَ القلوب والنفوس، فهل يستطيع أحد أنْ ينطق بهذه الكلمات، التي لو قُرِأت على أسماع كُلِّ إنسان لأذعن له بالحب والولاء، فعليٌّ هو الإنسان، وعليٌّ هو مَنْ علم الإنسان كيف يصبح إنسانًا، وعليٌّ هو من أثار في الإنسان كوامن إنسانيته التي يفتخر بها على الملائكة، فيجب أنْ نجعل من يوم مولده عيدًا عالميًّا اسمه (عيد الإنسان).

دعوة صريحة لتحقيق العدالة الاجتماعية، وهذا من أهم أسباب إعداد القائد في التربية الإسلامية. [1]

٢- الحذر الشديد من الظلم لأي إنسان، سواء أكان الظلم قليلاً أم كبيرًا، فإنه يؤثر سلبًا على العلاقة مع الله تعالى، وأنه عزوجل لا يرضى بالظلم مثقال حبة، وقد حذَّر من ذلك مطلقًا.

٣- الدعوة للحفاظ على نعم الله تعالى من الضياع والتلف عن طريق ظلم القائد للرعية، فإنَّ أنين المظلومين يهلك الظالمين، وفي هذا درس تربوي للابتعاد عن أذى المؤمنين، وقد رأينا كيف أهلكهم الله تعالى، وجعلهم عبرة للأمم، قال تعالى فيما فعله فرعون بظلمه

---

[1] وفي ذلك أظن دعوة صريحة للذين يريد الحكم تحت لواء الإسلام أنْ يجعلوا من هذه الدعوة طريقًا واضحًا لتطبيق مبادىء الدولة الإسلامية التي يريد أنْ يؤسس لها الإمام (عليه السلام)، ولكن -للأسف- لم نر هذه التعاليم قد طبقت في الواقع، وإنَّ عدم تطبيق ذلك يؤدي إلى أمرين سلبيين: أحدهما: فقدان المصداقية من العاملين في الأحزاب والأنظمة الإسلامية، والآخر: ضعف توجُّه الناس وأبناء الأمة نحو الشريعة المقدسة، واتهامها بالقصور في التطبيق، وتلبية الاحتياجات، فينبغي علينا إما الدقة في تطبيق الأحكام مهما أمكنت الضروف، وإلا عدم الحكم ضمن نظام الشريعة؛ لتصان فقرات النظام من التلاعب وفق الأهواء.

للعباد: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾. [1]

إننا من خلال ما تقدم من الكلمات التي سُطِّرَت في هذه الصفحات نكون قد بيَّنَّا بعض الإضاءات العلوية التي لها أثر بالغ في تربية القائد وإعداده؛ ليكون مؤهلاً للحكم بين الرعية بالإنصاف والعدل، وتحقيق الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة، ولقد كان (عليه السلام) في حكمه مصداقًا لما تقدم من كلماته العظيمة، فنسأله تعالى أنْ يتقبل عملنا بأحسن قبوله، إنه سميع مجيب.

---

[1] سورة الدخان: الآيات ٢٥-٢٩

الخاتمة والنتائج

- لقد حاول البحث أنْ يسلط على أهم الفقرات التي لها علاقة بإعداد القائد وتربيته؛ ليكون مؤهلاً لقيادة الأمة، ورأينا أهمية تلك الإضاءات الخمس التي تحدثنا عنها بإيجاز.

- إنَّ إعداد القائد وتربيته لا يكون من خلال الكلمات والمواعظ فقط، بل لابد من العمل في الميدان، ليختبر الإنسان قدرته على تطبيق تلك المؤهلات التي تم تربيته عليها في مراحل الإعداد في حياته.

- لقد حاولنا في البحث بيان صور تطبيقية للمبادىء التي أوصى بها أمير المؤمنين "مالكًا" في الواقع، لنثبت أنَّ النظام الإسلامي نظامًا كاملاً ويمكن أنْ يطبَّقَ لو أنَّ الأمة قد تم تربيتها وفقًا لذلك.

- يرى الباحث ضرورة دراسة هذا العهد دراسة معاصرة وفق نظرية بناء الدولة الإسلامية، وتطبيق أحكام الشريعة المقدسة، فضلاً عن الدراسة المقارنة مع أنظمة بناء الدولة المدنية الحديثة، لبيان أنَّ الإسلام بنظامه قد أقرَّ مبادىء متعددة قبل أنْ ينادي بها الفلاسفة المحدثين اليوم.

- يرى الباحث أنَّ الدين لا يمكن أنْ ينفكَّ عن السياسة؛ لأنَّ من أهم أهداف الدين هو تطبيق الشريعة الإسلامية المقدسة، وهذا لا

يمكن من غير تأسيس دولة قائمة على ذلك النظام، فيجب الخروج من ذلك الإطار الضيق لمفهوم الدين القائم على تطبيق بعض الفرائض العبادية بعيدًا عن التدخل في أمور الساسة والحكام.

– يرى الباحث أهمية طباعة هذا العهد بلغات متعددة ونشرها بين الوزارات والمؤسسات الحكومية كلها؛ لِيُستلهم منه مبادىء وسبل نجاح الإدارة للمؤسسات المختلفة.

– وجوب أنْ تجعل الأحزاب والشخصيات الإسلامية هذا العهد دستورًا لها في بناء الدولة والحكم، وتجعل نفسها وكأنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يسلِّمها هذا العهد للعمل به في المجتمع، ليرى كُلُّ إنسان مستوى المصداقية في الادعاء والانتماء للنظام الإسلامي، ومستوى نجاح هذه الشخصيات في تمثيل الإسلام في التطبيق دون القول والشعارات البراقة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- الشريف الرضي، محمد بن الحسين: نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، (مط النهضة، قم، ط١، ١٤١٢هـ).

- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ).

- مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط مادة (الإيثار).

- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرَّم ٱبن منظور، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

- اليازجي، إبراهيم: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد. (المكتبة الشاملة)

الفهرس

مقدمة ٣

تمهيد ٥

– الإضاءة الأولى: التمسك بالشريعة المقدسة اعتقادًا وعملاً. ١٠

– الإضاءة الثانية: تهذيب النفس وتربيتها. ١٩

– الإضاءة الثالثة: التحلي بالعلم والحكمة. ٢٥

– الإضاءة الرابعة: الشجاعة والدفاع عن الوطن. ٢٩

– الإضاءة الخامسة: التحلي بالعدل والإنصاف. ٣٤

الخاتمة والنتائج ٤١

قائمة المصادر والمراجع ٤٣

الفهرس ٤٤